ملحمة كلكامش : الاصالة والتأثير

Epic of Gilgamish:The Origin and Effectiveness

أ.د. علي ياسين الجبوري

كلية الآثار – جامعة الموصل

Abstract

Epic of Gilgamesh of Mesopotamian literatures is considered one of the oldest mythical heroes of ancient civilization, it has been passed on from ancient Iraq to the ancient near eastern nations. It is everlasting because it dealt with essential subject concern human being. On the other hand it represent contradiction of live such as : good and evil; strong and weak ; rich and poor; life and death etc.., all of these are related to gods wishes. These subject were and are occupy human being's thinking because it is effect his everyday life therefore his effort either the avoid it or to get rid of it. These subjects drew attention of unknown Sumerian scholar who wrote it down in poetic form according to his personal , social, religious and political situations.

المقدمة

اعتمد البحث علي ترجمة الأستاذ طه باقر فهو الأفضل للباحث العربي، لانه استاذ اللغة الأكدية ويجيد اللغة الانكليزية أيضا، لذا فإنه قد انتقى المصطلحات العربية التي تلائم القراءة الأكدية للملحمة. تعد ملحمة كلكامش الرافدينية من اقدم الملاحم البطولية المدونة في تأريخ الحضارات القديمة، ومنها انتقلت الى شعوب الشرق الأدنى القديم. فهي إنسانية خالدة، لان موضوعاتها جوهرية تخص الانسان وما يتعلق به من أمور متناقضة مثل الخير والشر، القوي والضعيف، الغني والفقير والحياة والموت، وربطها بالآلهة ذات العلاقة، هذه من الامور التي كانت ولا تزال تشغل تفكير الانسان وتؤثر في حياته اليومية ومحاولته تجنبها او التخلص منها، لذا نجده يتشبث بالحياة عن طريق البحث عن الخلود جسديا او التخليد بالأعمال المدونة لمنجزاته العسكرية والعمارية والفنية والأدبية والفكرية . وبسبب هذه الارهاصات انبرى اديب سومري مجهول الاسم والذي سطر هذه القضايا بأسلوب شعري شيق ولسان حاله يقول " الذكر للإنسان عمر ثان"، فقد حاول معالجتها وفق ما أملته الظروف الشخصية والأوضاع الاجتماعية والدينية والسياسية ومنها:

الحس التاريخي وتدوينه:

بدأت الملحمة بفكرة التاريخ وماهيته معبرة عنه بالماضي والحاضر والمستقبل، وعده عبرا للأجيال القادمة ويقول:

"هو الذي رأي كل شيء فغني بذكره يا بلادي،
وهو الذي عرف جميع الأشياء وأفاد من عبرها،
وهو الحكيم العارف بكل شيء،
لقد ابصر الاسرار وكشف عن الخفايا المكتومة،
وجاء بأنباء ما قبل الطوفان،
فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبره،
ابحث عن اللوح المحفوظ في صندوق الالواح النحاسي،
وافتح مغلاقه المصنوع من البرونز،
واكشف عن فتحته السرية،
تناول لوح حجر اللازورد واجهر بتلاوته،
هو الذي سعى لينال الحياة الخالدة،
نسل لوكال–باندا،
انه كلكامش المكتمل القوة،
ابن البقرة الجليلة " رمات –ننسن" (١).

هذه العبارات تدل بوضوح على شعور عميق وحرص شديد لدى سكان بلاد الرافدين بأهمية التاريخ والاثر المكتوب بوصفه الوسيلة التي يمكن من خلالها ان يخلد اسمه ومنجزاته، وهنا يتحسس الاديب، ويشعر بأهمية التاريخ وتدوينه من خلال الذكر وربط البحث عن اخبار العصور الماضية والافادة منها كعبر له وللأجيال القادمة والتي توضح معرفة اعمال كلكامش الذي جاء بأخبار ما قبل الطوفان والتي نقشها على مسلة من الحجر. فالصناديق التي كانت تحفظ فيها احجار الأسس ليست من خيال الكاتب وانما حقيقة وقد عثر على اعداد منها معمولة من الفخار او مبنية بشكل الصندوق تحت أسس المعابد والقصور الملكية والتي تعود الى فترات زمنية لاحقة ومتعددة وتحفظ فيها النصوص التذكارية الخاصة بالملك من اعمال عسكرية ودينية وعمارية خاصة بالبناء نفسه والهدف من بنائه، كما تهدف هذه النصوص إلى التعريف بأعمال الملك الذي امر بتشييد البناء واعلام الأجيال اللاحقة بها والطلب منهم بعدم ازالتها او تخريبها لا بل الافادة منها وانزال اللعنات على كل

من يخربها بقصد حذف او إضافة كما يقول آشوربانيبال" **(مثلما) وجدت قطعة تحمل اسم سنحاريب، والد والدي والذي نقشها لي ودهنها بالزيت وعمل قربانا، ووضعها مع شيء مكتوب يحمل اسمي، يجب عليك، مثلي، تجد شيئا مكتوبا باسمي، عندها تدهنه بالزيت وتعمل قربانا وتضعه مع شيء مكتوب يحمل اسمك . عسى الآلهة العظام بقدر ما مدون في هذا الشي المكتوب، تبارك ملوكيتك باستمرار وتحمي حكمك . وأي واحد الذي يدمر شيئا مكتوبا يحمل اسمي او اسم والد والدي والذي نقشها لي وجعله يختفي ببعض الاداة البارعة او لم يضعها مع شيء مكتوب يحمل اسمه عسى الهة السماء والعالم السفلي العظمى تسقط ملوكيته، وتجعل اسمه وذريته تختفي من البلاد** "[٢] . وقد التزم بعض الملوك بهذه التعليمات والبحث عن تأريخ المعلم الذي يريد ان يرممه او يعيد بناءه، مثلما عمل نابو–نائد، (ق.م)، ملك الكالدو، فقد كان يأمر المعماريين والمهندسين بالبحث عن احجار الأسس الموضوعة في أسفل مداخل البناء او في احدى زواياه للتعرف على بانيه ومرممهِ من اجل ان يضيف اسمه اليهم، وهذا ما قصده كلكامش عندما يقول " **ابحث عن اللوح المحفوظ في صندوق الالواح... إفتح مغلاقه ... تناول اللوح واجهر بقراءته** "، فبعد ٢٠٠٠ سنة نفذ نابو – نائد ما أمر به كلكامش، وهذا دليل على استمرار هذه الأسلوب من البحث التاريخي عن اخبار السابقين المدونة . هذه الفكرة بماهيتها التاريخية لا تزال مستخدمة في الوقت الحاضر وذلك بوضع حجر الأساس لأي مشروع عماري او صناعي الخ.. .

إن اصالة الملحة واهميتها والعبر الواردة فيها كانت السبب لاستمرار تداولها والحفاظ عليها عبر العصور في بلاد الرافدين وما جاورها من بلاد وشعوب، حتى ان بعض احداثها كالطوفان تناولتها الكتب السماوية اللاحقة كالتوراة والقرآن الكريم فضلا عن قضية البحث عن الخلود ومحاولة التخلص من الشيخوخة بالمواد التجميلية والملبس للتصابي. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان الفضل الأكبر بالحفاظ عليها من دون تغيير او تزوير انما يرجع الى الحس التاريخي الذي تمتع به كتبة بلاد الرافدين البابليون والاشوريون وامانتهم العلمية عند الكتابة والاستنساخ، لا بل تدقيقها من قبل الكتبة الكبار ومطابقة المستنسخ مع النص الأصلي ويجب ان يذيل الكاتب عمله بالقول كتب ودقق وفق النسخة الاصلية، ثم يذكر اسمه وتأريخ الاستنساخ ولأمر من قام به، اليس هذا ما نجده في المخطوطات العربية وهوامشها. ومن حسن الموافقات ان نسخة ملحمة كلكامش التي بين أيدينا هي مستنسخة أصلا من اجل حفظها في مكتبة اشوربانيبال والتذيل يشير الى:" **هو الذي رأى كل شيء، من سلسلة كلكامش، استنسخ طبق الأصل ودقق، مكتبة (قصر) اشوربانيبال، ملك العالم، ملك بلاد اشور**" .[٣] ولتوضيح عناية الكاتب او الناسخ لتوثيق النص تاريخيا نورد التذيل التالي لـ

نابو – ريختو – أوصر : **كتبه ودققه وفق النسخة الاصلية نابو – ريختو – أوصر، الناسخ المساعد، عضو مجمع نابو – أخ– إدنا، امين القصر، لمطالعة قدري – نركال . كل من يأخذ هذا الرقيم، عسى الاله أيا ان يأخذه بامر الاله نابو الذي يسكن معبد إيزدا، وعسى ان لا يكون له نسل او ذرية، كتب في شهر آذار، لمو خناني، حاكم مقاطعة بارسيب(ق. م). إياك ان تأخذ الرقيم او تكسر رقم المكتبة فإن ذلك محرم عند الاله أيا** " [٤] كما بلغ الحرص الشديد على الأمانة التاريخية في الاستنساخ والحفاظ على النص دون تغيير او تزوير إشراف الملك شخصيا على العملية، كما ورد في اللوح الخامس من اسطورة إيرا وعلى لسان اشوربانيبال:

"**أنا اشوربانيبال، الملك العظيم، الملك القوي، ملك العالم، ملك بلاد آشور، كتبت ودققت وطابقت هذا اللوح مع عدد من العلماء، ووفق ألواح الطين والواح الكتابة المسمارية الخشبية** [٥]**، وهي نسخ من اشور وسومر وأكد، ووضعته في قصري لمطالعتي الملكية، كل من يمحو إسمي المكتوب ويكتب اسمه، عسى الاله نابو، كاتب كل شيء ان يمحو إسمه** " [٦]، وهنا لا بد من الإشارة الى اللعنات التي تدون على مثل هذه الاستنساخات ومقارنتها مع ما ورد على لسان أنكيدوا وهو يناجي الباب عندما اشتد به المرض :" **ولكن ما الحيلة يا باب لقد صنعتك وجلبتك، لعل ملكا ممن سيأتي من بعدي سيستعملك ويزيل إسمي ويضع إسمه**".[٧] وقد بقيت مسألة الحفاظ على النصوص المدونة وعدم العبث بها تشغل فكر الملوك ولذا لجأوا الى تدوين اللعنات في نهاية النص مثلما كتبه حمورابي في مسلته او ما دونه الملوك الاشوريون في كتاباتهم الملكية، مثل المعاهدات التي ابرموها مع اتباعهم، اظر مثلا اللعنات التي دونها آشور – نيراي (٧٥٤–٧٤٥ ق.م) ضد ماتع –إيلو " [٨]. ويضيف الاديب مآثر تاريخية أخرى من خلال الحوار بين كلكامش وصديقه انكيدوا قبل الذهاب الى الغابة ويؤكد على ان ما يقوم به هو تخليد اسمه :

" **إذا هلكت فسأخلد لي اسما، سامد يدي واقص الأرز،**

فأسجل لنفسي اسما خالدا،

سيحمي احدنا الاخر،

واذا ما سقطنا في النزال،

فسنخلف وراءنا إسما خالدا".[٩] وكأن لسان حاله يقول :" **إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا في ثلاث، ابن صالح يدعو له، صدقة جارية اوعمل ينتفع به** "، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان حديثه مع شيوخ مدينة أوروك يبين مدى افتخاره بأعماله:

" **اسمعوا يا شيب أوروك ذات الاسوار،**

أُريد، انا كلكامش، أرى من يتحدثون عنه (أي همبابا)،
ذلك الذي ملاء اسمه البلاد بالرعب،
عزمت على ان اغلبه في غابة الأرز،
وسأسمع البلاد بأنباء ابن أوروك، فتقول عني :
ما اشجع سليل اوروك وما اقواه".(١٠)

ومن اجل ان يؤكد الاديب فكرته للبحث عن الماضي والملوك، والتدوين التاريخي، فقد عززها باستغلال حلم انكيدو ونزوله الى العالم السفلي ليحدثنا عن الماضي ويخبرنا عما شاهده لكلكامش :

" **في بيت التراب الذي دخلت،**
شاهدت الملوك والحكام،
ورأيت تيجانهم قد نزعت وكدست على الأرض،
أجل رأيت أولئك العظام الذين لبسوا التيجان،
وحكموا البلاد في سابق الايام ". (١١)

وقد دلت التيجان هنا على احدى الشارات الملوكية والتي انزلتها الآلهة من السماء على الأرض ومنحتها لمن تختاره وبحسب اعتقاد العراقيون القدماء في حكم البلاد والعباد (١٢).

من هذه الجمل نستشف عبقرية الاديب في التعبير عن مساواة الانسان عندما خلقتهم الآلهة، الا انها قد تختار من تراه مناسبا وتمنحه الشارات الملكية ومنها التاج والصولجان وذلك لتميزه عن الاخرين، لكن في القبر فالأموات سواسية لا فرق بين عبد وسيده الا بالأعمال التي انجزوها في حياتهم فهي التي تميزهم **(يوم لا ينفع لا مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم** " (سورة الشعراء : آية ٨٨-٨٩)، والتيجان المكدسة على الأرض قد انتهى مفعولها ؛ لأنها من ضروريات الحياة الدنيا وهكذا يؤكد أنكيدو بقوله:

" **من ذا الذي يستطيع ان يميز بين العبد والسيد اذا وافاهم الاجل**". (١٣)

وهكذا فان الاديب ومن خلال هذه الأمثلة أراد ان يوضح اهتمامه بالتاريخ وتدوينه والاشارة اليه بشكل مباشر او غير مباشر والتأكيد على الماضي ومآثر الأجداد والمحافظة عليها من التغير والتزوير وحث الأجيال القادمة على إحترام هذه المبادئ والافادة من عبرها.

البدائية والمدنية

الصراع الحضاري بين حياة الريف والمدينة كان وما يزال من المشاكل الاساسية وذلك لان لكل منهما عاداته وتقاليده الاجتماعية والاقتصادية وسبل معيشته والتكيف لها. ويبدو ان الاديب السومري قد أدرك هذه الفوارق والاختلافات لذا فقد جسد شخصية انكيدو بالإنسان البدائي والذي يعتمد على جمع القوت وألف العيش حتى مع الحيوانات الوحشية ويقول الكاتب:

" في البرية خلقت أنكيدو القوي،

يكسو جسمه الشعر الكث،

شعر رأسه كشعر المرأة ونمت فروع شعر رأسه جدائل كشعر نصابا، (١٤)

لا يعرف الناس ولا البلاد،

ويلبس لباسا مثل إله الماشية

ومع الضباء يأكل العشب،

ويتدافع مع الوحوش عند مساقي الماء " .(١٥)

ويصفه مرة أخرى بلسان كلكامش قائلا:

" يا انكيدو، إن امك ظبية وابوك حمار الوحش،

وقد ربيت على رضاع لبن الحمر الوحشية ". (١٦)

ولو قارنا ما تقدم من اوصاف لحياة أنكيدو البدائية مع الحيوانات البرية مع أوصاف الحياة في مدينة اوروك على لسان البغي التي روضت انكيدو فكريا وجنسيا لوجدنا الفارق:

" ولكن صار فطنا (أي انكيدوا) واسع الحس والفهم،

صرت تحوز على الحكمة يا انكيدو وأصبحت مثل إله،

فعلام تجول في الصحراء مع الحيوان،

تعال آخذك الى مدينة أوروك ذات الاسوار حيث يعيش كلكامش،

الكامل الحول والقوة،

وحيث يلبس الناس أبهى الحلل،

وفي كل يوم تقام الافراح كالعيد،

والفتيات الحسان،

ينفح منهن العطر الطيب اللواتي يخرجن العظماء من مضاجعهم" . (١٧)

ولإيضاح مدى بدائيته يقول الكاتب بان البغي شقت ثوبها نصفين فألبسته نصفا واكتست بالنصف الثاني من اجل ان تستر على عروتيهما وعلى الرغم من هذا التصرف تجمع حوله الرعاة عندما اخذته الى كوخهم ويضيف الاديب المزيد من الفروقات بين حياة البداوة والمدينة قائلا:

" **ولما وضعوا امامه طعام تحير واضطرب،**

وصار يطيل النظر اليه،

اجل لا يعرف انكيدو كيف يؤكل الخبز لأنه شب على رضاع لبن حيوان البر،

ولا كيف يشرب الشراب القوي،

كل الطعام يا انكيدو فإنه سنة الحياة واشرب من الشراب القوي فهذه عادة البلاد،

فنظف جسده المشعر ومسحه بالزيت،

واضحى انسانا،

ولبس اللباس،

وصار كالعريس". (١٨)

وفي مكان آخر من الملحمة يؤكد الاديب ما ورد أعلاه من مقارنة لحياة انكيدوا خاصة عندما بدأ يهجوا ويلعن البغي ويجيبه الإله شمش :

" **تلك التي علمتك كيف يؤكل الخبز اللائق بسمة الالوهية،**

واسقتك خمرا يليق بسمة الملوكية،

والبستك الحلل الفاخرة،

واعطتك كلكامش الوسيم خلا وصاحبا،

تنام على الفراش الوثير،

اجل انه جعلك تنام على سرير الشرف،

واجلسك على كرسي الراحة الذي الى شماله،

وجعل امراء الأرض يقبلون قدميك". (١٩)

إذا الطعام والشراب واللباس هي من عادة اهل المدينة والذي تحكمه الأعراف والنواميس والقوانين وليس ما اعتاد عليه انكيدو في البرية.

هذا التغيير في السلوك والعادات والانقلاب على الذات صوّره الاديب في شخصية انكيدو فبالأمس كان المدافع عن الحيوانات، الا انه أصبح يقنصها:

" **أخذ سلاحه وانطلق يطارد الأسود ليريح الرعاة في المساء،**

واصطاد الذئاب وقهر الأسود،
فاستطاع الرعاة ان يهجعوا في الليل مطمئنين،
صار أنكيدو حارسهم وناصرهم،
بعد ان كان عدوهم والذي يقول عنه الصياد كان: يملأ الاوكار التي حفرتها،
وقطع شباكي التي نصبتها،
ويجعل الصيد وحيوان البر تفر من يدي،
لقد حرمني من القنص في البرية ". (٢٠)

هذه الاوصاف لإنسان البرية والبدائية لانكيدوا ومقارنته مع حياة المدينة، لا تزال في ذاكرة الشعوب وفي مختلف العصور وقد الفت فيها الكثير من القصص والاساطير وجعلت من طرزان بطلها بدلا من انكيدو، كما عملت السينما العديد من افلام (طرزان) التي تحمل الفكرة نفسها والمضمون ذاته. فانكيدو الذي كانت البرية مأواه أصبحت القصور الفاخرة مسكنه. ولبس لباس الملوك وشرب الخمر.

المرأة: الزنا والخطيئة

استخدم الكاتب المرأة كأداة للتعبير عن الخطيئة بالزنا وكيفية ارتكابها وتحول الانسان البريء الى مخطئ من وجهة نظر المجتمع سابقا ولاحقا. المرأة التي قدمها الاديب في الملحمة ليست المرأة التي تعد نصف المجتمع والمسؤولة عن تربية الاجيال، والتي دافعت عنها القوانين والأعراف السومرية والأكدية والبابلية والاشورية وحتى الوقت الحاضر وحفظت لها حقوقها تجاه أهلها وزوجها وأولادها. انما اختار المرأة الشاذة المنحرفة عن تلك الأعراف الاجتماعية، فهي مصدر للوباء وكل من يتعرف عليها او يتصل بها سيتلوث بخطاياها ويصبح آثما. لقد فرق الكاتب بين العلاقات الجنسية، الشرعية، والمتمثلة باعتراف المجتمع بها بعد توثيقها بعقد زواج يشهد عليه وتثبت فيه حقوق الزوجين، هذه العلاقة التي تعتمد على أسس ومعايير وتحميها القوانين والتشريعات الرسمية لتضمن حقوق الزوجين، وما لا تنطبق عليه هذه القوانين يعد غير شرعي. وهذا ما كان سائدا في بلاد الرافدين منذ بداية الالف الثالث قبل الميلاد وحتى الان.

الخطيئة من وجهة نظر الاديب، وربما المجتمع آنذاك تتمثل بارتكاب الزنا وادواته المومسات او العلاقة الجنسية غير المدونة بوثيقة فقد اختار الكاتب شخصية إنسان عاش طفولته وشبابه في البراري مع الحيوانات ويعد الانسان عدوا له؛ لأنه يطاردها او يصطادها وقد ارق الصيادين بالدفاع عنها ولم يتمكنوا من دحره ولذا اقترح احد الصيادين على ولده خطة لترويضه وذلك بوساطة امرأة

مومس تغريه لممارسة الجنس معها وهكذا فانه سيرتكب الخطيئة ويفقد براءته وتنفر منه الحيوانات وينقلب على ذاته بعد ذلك قائلا:

" انطلق يا صيادي واصطحب معك بغيا مومسا،
وحينما يأتي الى المورد لسقي الحيوان،
دعها تخلع ثيابها وتكشف عن مفاتن جسمها وعورتها،
فاذا ما رآها اقترب منها وانجذب اليها،
وعندئذ ستنكره حيواناته التي تربت معه في البرية،
ابصرت البغي المارد الاتي من الصحراء،
(فأسر اليها الصياد) هذا هو أيتها البغي فاكشفي عن نهديك،
واكشفي عن عورتك لينال من مفاتن جسمك،
ولا تحجمي بل راوديه وابعثي فيه الهيام،
فانه متى ما رآك انجذب اليك،
أنضي عنك ثيابك ليقع عليك،
وعلمي الوحش الغر فن المرأة ". (٢١)

وقد طبقت المومس ما امرها الصياد وتمكنت بحيلتها وكيدها (إن كيدهن عظيم)، من ترويض هذا الوحش الصحراوي، وهنا لابد من تأكيد دور المرأة الخطير في المجتمع واهميته في التربية والتدبير المنزلي وكما يقول الشاعر:

الام مدرسة ان اعددتها اعدت جيلا طيب الاعراق

فالبراءة والخطيئة التي عبر عنها الاديب، ما هي الا انعكاس لما يفكر به المجتمع آنذاك وحاليا تجاه العلاقات الجنسية غير الرسمية / المشروعة، فالفرق بين البريء والمخطئ من وجهة نظر الاديب:

" بعد ان شبع أنكيدو من مفاتن المرأة،
وجه وجهه الى ما ألفه من حيوان الصحراء،
فما ان رأت الضباء انكيدو ولت هاربة،
وهربت من قربه وحوش الصحراء،
ذعر انكيدو ووهنت قواه،
خذلته ركبتاه لما أراد اللحاق بحيواناته،

اضحى انكيدو خائر القوى لا يطيق العدو كما كان يفعل من قبل". [٢٢]

لماذا، ماذا حدث له ؟، وما الذي أفقده قوته، واي مرض حل به ؟، الإجابة ببساطة فقد براءته التي كانت تؤهله للتعايش مع حيوانات البر. الان اصبح انسانا مخطئا من وجهة نظر الحيوانات وبالأحرى من وجهة نظر المجتمع آنذاك وحتى في الوقت الحاضر وقد عكسها الاديب مؤلف الملحمة. وفي مكان اخر من الملحمة وفي الايام الأخيرة من حياة انكيدو يندم على تلك الايام البريئة والتي فقدها بسبب تلك المومس ويلعنها ويقدم وصفا دقيقا عن المومسات ومركزهن الاجتماعي ونظرة المجتمع لهن قائلا:

" لن تستطيعي ان تبني بيتا يليق بجمالك،

ليكن اكلك من فضلات المدينة،

ستكون زوايا الدروب المظلمة مأواك،

وفي ظل الجدار سيكون وقوفك،

وسيلطم السكران والصاحي خدك،

وعسى ان ينبذك عشاقك بعد ان يقضوا وطرهم من سحر جمالك". [٢٣]

أليست هذه اوصافا تنطبق تماما على المومسات قديما وحاليا، إلا ان الكاتب استدرك عطف انكيدو عليها ودورها في تغيير حياته البدائية قائلا:

" **سيحبك الملوك والامراء العظام،**

ولن يضرب احد فخذه معيبا إياك،

ومن اجلك سيهز الشيخ لحيته، وسيحل الشباب احزمتهم من اجلك،

(وسيقدمون) لك اللازورد والذهب والفضة،

وسيدعك الكاهن تدخلين الى حضرة الآلهة،

ومن اجلك ستهجر الزوجة ولو كانت ام سبعة " [٢٤]

توضح هذه الاسطر البغاء ومركز والمومسات سابقا وحاليا، فمنهن المتسكعات في الشوارع او قد تحظى قلة منهن بحماية ذوي السلطة ويصبح لهن مركز ونفوذ مهم بفضل صاحب السلطة.

الحياة والموت

من الامور التي كانت وما تزال تشغل فكر الانسان وشغلت حيزا كبيرا من الملحمة وافرد لها الاديب فصولا وعكس من خلالها معاناة المجتمع كما سردها اتو –نبشتم الذي نجا من الطوفان ومنحته الآلهة الحياة الابدية، والذي يقول لكلكامش الباحث عن الخلود :

" **ان الموت قدر على الانسان واستحوذت الآلهة بالحياة الخالدة،**
يا صديقي من ذا الذي يستطيع ان يرقى الى السماء،
فالآلهة وحدهم الذين يعيشون الى الابد مع شمش،
اما البشر فأيامهم معدودات،
وكل ما عملوا عبث يذهب مع الريح (٢٥)

وتقول صاحبة الحانة التي التقي بها كلكامش في سفره للبحث عن اوتو – نبشتم:

" **الى اين تسعى يا كلكامش،**
ان الحياة التي تبغي لن تجد،
حينما خلقت الآلهة العظام البشر،
قدرت الموت على البشرية،
واستأثرت هي بالحياة " (٢٦)

الحياة والموت من الامور التي اكدتها الأديان السماوية والوثنية ولكن لم يتجرأ احد على الكتابة عن حياة ما بعد الموت بشكل مباشر وانما تناقل الأجيال أخبارها شفاها، ماعدا المصريين القدماء فقد صوروا حياة ما بعد الموت في القبور الملكية والشخصيات المهمة، الا ان هذا الاديب الرافديني تمكن من تصوير هذه المسألة وبأسلوب ذكي جدا وبشكل غير مباشر من خلال أحلام ورؤى انكيدو المريض، فقد بين كيف تتخذ الآلهة القرار بخصوص موت الانسان كما وضح كيفية الوصول الى هذا القرار الحاسم. وما ورد من اسطر بخصوص هذا الموضوع واجتماع الآلهة، عبارة عن مرآة تعكس ممارسات لاجتماعات مجلس المدينة المكون من الشيوخ والشباب للنظر في شؤون المدينة والبلاد في اوقات السلم والأزمات . انظر قرار حرب امير كيش المسمى آكا مع كلكامش :" **ان رسل آكا بن "اينمر– براكيسي، شرعوا بالسفر من كيش الى كلكامش في الوركاء، فعرض الحاكم كلكامش الامر على (مجلس) شيوخ مدينته، (عرض) الامر عليهم وطلب منهم المشورة قائلا :"علينا ان لا نخضع لبيت كيش بل لنحارب بالسلاح، ونرفض اعمال السخرة وحفر الابار". فأجاب مجلس شيوخ المدينة وقالوا لكلكامش : " لنخضع لبيت كيش ولا نحارب بالسلاح، لنخضع**

لاعمال السخرة وحفر الابار ". اما كلكامش سيد كلاب والذي حقق اعمال البطولة للالهة " إنانا"، فلم يرض بكلام شيوخ مدينته، إن كلكامش سيد كلاب مرة أخرى، عرض الامر على رجال مدينته (المحاربين) وطلب، منهم النصح والمشورة قائلا:" لا تذعنوا لبيت كيش بل علينا ان نحارب بالسلاح،، فأجاب رجال المدينة المحاربون وقالوا لكلكامش :" لا تذعن وتستسلم لبيت كيش" [٢٧]

ولو قارنا هذا الحدث وإجراءات اتخاذ قرار مصيري نجده منعكسا في قول انكيدو لصديقه كلكامش:

" يا صاحبي لم اجتمع الآلهة العظام في مجلس الشورى

يا صاحبي لم اجتمعت الآلهة العظام في مجلس الشورى،

رأيت ان آنو وانليل وأيا وشمش السماوي،

قد اجتمعوا ليتشاورا وقال آنو لانليل،

لانهما قتلا الثور السماوي وقتلا همبابا،

فينبغي ان يموت ذلك الذي اقتلع أشجار الأرز من الجبال، " [٢٨]

وكان القرار بموت انكيدو . والاسطر الاتية الخاصة بهذا القرار تعكس موضوع آخر وهو أسلوب المحاكمات والمرافعات والقضاء الذي ينظم الحياة اليومية وإعادة الحق لصاحبه بشكل حضاري. ويصف انكيدو لكلكامش تلك المحكمة الخاصة وإجراءاتها من حيث عقد الجلسة واطرافها: ترأس جلسة القضية الاله آنو وانبرى شمش كمحام دفاع عن المتهمين، وهما كلكامش وانكيدو، بينما اصبح إنليل نائبا عاما وممثلا للسلطة، وكانت المرافعة كالاتي :

" الاله آنو : لانهما قتلا ثور السماء وقتلا همبابا،

ينبغي ان يموت ذلك الذي اقتطع أشجار الأرز من الجبال،

الاله إنليل يجيب: ان انكيدو هو الذي سيموت،

ولكن كلكامش لن يموت،

هنا تدخل شمش للدفاع

" الم يقتلا ثور السماء وهمبابا بأمر مني،

فعلام يقع الموت على انكيدو وهو بريء،

الاله إنليل يقول: مستدركا وحانقا،

ألا إنك تطلع عليهم كل يوم حتى أصبحت/ صرت كأنك واحد منهم ". [٢٩]

أليست هذه صورة لمرافعات المحاكم والقضاء الان. استعمل الاديب الأسلوب غير المباشر للأمور التي لا يستطيع الكتابة عنها بشكل مباشر من اجل ان يعبر عن معاناة المجتمع آنذاك كما

انه استعمل الشؤون الإدارية والسياسية والدينية التي كانت سائدة آنذاك كمرآة لعكس نظرته شخصيا والمجتمع عموما على الآلهة المقدسة التي تسكن في السماء والاطلاع على اسرارها. وهذا ما ينطبق على واقع المجتمعات الحالية حيث لا يستطيع ولا يجرأ أحدا بالتحدث اوالكتابة عنها بشكل مباشر لأسباب دينية ومعتقدات اجتماعية. فكم من مرة نسمع عن فلان رأى الرسول (ص) في الحلم، لا بل، في بعض الاوقات ترافق هذه القصة ورقة مدون فيها وصايا الرسول (ص) لهذا الشخص، او يقام بناء في مكان معين ويصبح مزارا ؛لان شخصا ما رأى احد الاولياء وامره بذلك الخ.. .

كان القرار بموت انكيدو نهاية فصل من الملحمة وفتح فصلا آخر يتعلق بالموضوع ومن الاسرار الخفية أيضا؛ والتي لا يتمكن أي شخص من الوصول اليها حيا، إنه العالم السفلي، عالم الأموات والحياة الثانية، وماذا يحل بالإنسان منذ لحظة وفاته!، وماذا سيكون مصيره!، هذه الأسئلة والمسائل، هي الأخرى شغلت تفكير الانسان العراقي قديما وحديثا واكدتها كل الأديان السماوية. ولكن وبطريقة ذكية تمكن الكاتب السومري ان يجيب على هذه الأسئلة من خلال مرض انكيدو ومروره بسكرات الموت التي انتابته والحديث الذي تم بينه وبين كلكامش واصفا الموت والمراحل التي يمر بها الانسان وشعوره تجاهها :

" اشتد المرض بانكيدو ولبث راقدا على فراش الموت،
وصار يبث احزانه في تلك الليلة الى صديقه،
وناجاه قائلا: يا اخي،
رأيت الليلة الماضية رؤيا،
كانت السماء ترعد فاستجابت لها الأرض،
وعندما كنت واقفا ما بينهما،
ظهر امامي شخص مكفهر الوجه،
كأن وجهه مثل وجه طير الصاعقة زوو،
أظافره كمخالب النسر، لقد عراني من لباسي،
وامسك بي بمخالبه،
واخذ بخناقي حتى خمدت انفاسي،
لقد بدل هيئتي فصار ساعداي مثل جناحي طير،
مكسوتين بالريش،
ونظر الي وأمسك بي وقادني الى دار الظلمة،

الى مسكن إراكلا (إيريش – كي – كال)،
الى البيت الذي لا يرجع منه من دخله،
الى الطريق الذي لا رجعة لسالكه، (٣٠)
الى البيت الذي محرم ساكنوه من النور،
حيث التراب طعامهم والطين قوتهم،
وهم مكسوون كالطير بأجنحة من الريش،
ويعيشون في ظلام لا يرون نورا،
وفي بيت التراب الذي دخلت،
شاهدت الملوك،
ورأيت تيجانهم قد نزعت وكدست على الأرض
اجل رأيت أولئك العظام الذين لبسوا التيجان،
وحكموا البلاد في سابق الايام،
وكان نواب آنو وانليل هم وحدهم،
يقدم لهم شواء اللحم،
ويقدم لهم الخبز ويسقون الماء البارد من القرب،
وفي بيت التراب الذي دخلت،
يسكن الكاهن الأعلى وخدم المعبد،
ويسكن كهنة التطهير والرقاة والمعوذين،
ويسكن الذين يقدمون زيت المسح للالهة العظام،
وتحكم إيرش – كي – كال، ملكة الأرض السفلى،
وبعلة – صيري، كاتبة الأرض السفلى،
تسجد أمامها،
وبيدها [لوح] **تقرأ منه،**
ولما رفعت رأسها ابصرتني فقالت:
من الذي اتى بهذا الرجل الى هنا!، نحيه عني " . (٣١)

هذه الاوصاف تنطبق تماما على ما نسمعه من ابائنا اجدادنا عن الاخرة والحياة الثانية، وبالطبع فانه من ارهاصات المجتمع ومعاناته واطلاق الخيال لمصطلح الموت وتوابعه بحيث ان

بعضهم يقدم وصفا دقيقا لما يحدث للإنسان منذ لحظة وفاته على يد عزرائيل الى ساعات من بعد دفنه والمصطلحات المستعملة في تعريف القبر لا تختلف عما ورد في أعلاه: ‘‘بيت التراب، دار الظلام، دار القرار الذي لا رجعة منه’’، والحساب الذي يتلقاه الميت بالميزان مبنيا على تدينه وتقواه وورعه واعماله الجيدة او السيئة الخ.. يضاف اليها المساوات بين الموتى فلا يوجد قوي وضعيف، غني وفقير الخ.. وكأن المتحدث قد عاش الاحداث.

ويضيف الاديب المزيد من الاوصاف لعالم الأموات لا بل اعطانا معلومات أخرى عبر وصايا كلكامش لصديقه انكيدو عندما ينزل الى العالم السفلي قائلا:

" **سأرشدك فسر وفق ارشادي،**

لا تكتسي بالحلة النظيفة الزاهية،

فتبدو نزيلا غريبا عنهم،

لا تمسح جسمك بالزيت الفاخر،

لئلا يجتمعوا حولك بسبب عطره،

لا ترم عصا في العالم السفلي،

مخافة ان تصيب بعضهم فيحيطوا بك،

لا تلبس نعلا في قدميك،

ولا تحدث صوتا في العالم السفلي،

واذا وجدت الزوجة التي تحبها فلا تقبلها (....)،

والزوجة التي تبغضها لا تضربها،

لا تقبل الابن الذي تحب،

ولا تضرب الابن الذي تكره، (٣٢)

والا فإن بكاء العالم السفلي سيغلبك" . (٣٣)

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أراد الاديب إيصال الأفكار والصورة المرسومة في مخيلة الفرد الرافديني قديما عن أحوال العالم الاخر وهكذا ابتكر حوارا بين كلكامش وصديقه انكيدو نصه ما يأتي :

" **كلكامش، اخبرني يا صديقي عن أحوال العالم السفلي الذي رأيت،**

انكيدو :" ان جسمي الذي كنت تلمسه يوم كان قلبك تغمره الافراح،

الان يلتهمه الدود كما لو كان لباسا خرقا،

كلكامش: هل رأيت الذي قتل في المعركة،

إنكيدو: اجل رأيت أباه وأمه يرفعان رأسه، وتنوح عليه زوجته، (٣٤)

كلكامش: وهل رأيت من ترك جثمانه في البرية،

أنكيدو : اجل لقد رأيت، ان روحه لا تجد الراحة في العالم السفلي، (٣٥)

كلكامش: هل رأيت من لا يجد احد يقرب لروحه

انكيدو: اجل رأيت، روحه تأكل من حثالة الاوعية وكسرات الخبز وفضلات الشوارع،

كلكامش:هل رأيت الذي لا ولد له،

انكيدو: اجل رأيته، طعامه التراب والطين،

كلكامش : هل رأيت الذي خلف وراءه إبنا واحدا،

انكيدو: اجل لقد رأيته وهو ممد اسفل الجدار ويبكي بكاء مرا،

كلكامش: والذي خلف اثنين، هل رأيت،

انكيدو:اجل رأيته انه يضطجع في بناء من الاجر ويأكل الخبز،

كلكامش : وهل رأيت الذي خلف ثلاثة أبناء،

انكيدو : اجل رأيت، إنه يسقى الماء من زق ماء العمق،

كلكامش : والذي له أربعة أبناء، هل رأيت،

انكيدو :اجل شاهدته وهو فرح القلب،

كلكامش وهل رأيت الذي خلف خمسة أبناء،

انكيدو : نعم رأيته،

وهو كالكاتب السعيد ويده مبسوطة ويسمح له بدخول القصر" (٣٦)

مما تقدم يؤكد الاديب على عدد من الامور المهمة سابقا وحاليا، منها أولا : أراد القول إن جسم الانسان لا يبقى على ما هيته بعد الموت وانما يتفسخ وتأكله الديدان.، ثانيا، ركز على دفن الميت ونحن نقول : اكرام الميت دفنه، ثالثا : الشهادة في المعركة وفي سبيل الوطن ومركز الشهيد في المجتمع وافتخار والديه به، مع التأكيد على مدى تأثيره ذلك في الزوجة والأولاد، رابعا : تقديم القرابين للميت (الاضاحي حاليا) من اجل ان تنعم بها أرواح الموتى في العالم السفلي، ويعد هذا من احد الأسباب التي أدت الي ظهور التبني في بلاد الرافدين منذ فترات مبكرة من اجل حل مشكلة عدم الانجاب والتأكيد على أهمية الذرية. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد استخدم البابليون انابين فخارية تدفن شبه عمودي في قبر الميت، وتكون الفوهة العليا خارج القبر والفوهة السفلى تصب في

أوانٍ فخارية، وهكذا يقدم اولاد المتوفى من صلبه او بالتبني الغذاء لروحه باستمرار لاعتقادهم ان الانسان سيعيش مرة أخرى في عالم اخر. واستدرك الاديب لهذه المسألة مؤكدا على الذرية والخلف للميت (والذي خلف ما مات)، لان الابن سيحمل اسم والده ويحافظ على استمرار اسم العائلة وكأن لسن حال الاديب يقول:

" **إذا مات ابن آدم انقطع عن الحياة الا من ثلاث، ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية، وعلم ينتفع به**".

وهكذا شخص الاديب التناقض بين الحياة والموت وقدم وصفا دقيقا للعالم السفلي وذلك باستعمال أساليب وعبر في غاية الاهمية لنقل مشاعر واحاسيس الناس ونظرتهم عن ذلك العالم المجهول المخيف وهو ما نخشاه أيضا.

واختتم أهمية الذرية وشبه من لديه العديد من الاولاد بالكاتب ومركزه الاجتماعي والإداري وتمكنه من دخول القصر الملكي لحكم الخبرة والمهارة التي يمتلكها والتي تميزه عن غيره من افرار المجتمع .

الصداقة والايثار والشهادة

محور آخر يبرز في الملحمة وهو الصداقة والإخلاص للصديق والتضحية والاستشهاد من اجله. لقد ركز الاديب على هذا المبدأ فابتكر شخصية انكيدو لتكون عدوا لكلكامش المتكبر ولتخليص مجتمع اوروك من اعماله الوحشية والتي وصفها في بداية الملحمة [٣٧]، فقد اعطته البغي صورة كلكامش الوحش وحفزت مشاعره وحرضته لملاقاته وقتله وتخليص الناس من شروره ولكن وكما يقال: الصداقة من بعد عداوة. وهذا ما بينه الكاتب عبر رؤية كلكامش والتي فسرتها والدته قائلة:

" **ان رؤيتك، نظيرك كوكب السماء،**

الذي سقط عليك وكأنه شهاب السماء والذي اردت ان ترفعه فلم تستطع،

واحببته وانحنيت عليه كما تنحني على المرأة،

والذي وضعته عند قدماي،

فجعلته انا نظير لك،

انه صاحب قوي، يعين الصديق (عند الضيق) سيأتي إليك".[٣٨]

ثم يروي حلمه الثاني لأمه فتجيبه:

" إن الفأس التي رأيت، رجل،
ثم تكرر العبارات أعلاه نفسها،
ففتح كلكامش فاهه وقال: عسى ان يتحقق هذا الفأل بمشيئة إنليل العظيم،
فيكون صاحبا وصديقا ناصحا،
وسأكون له صاحبا وصديقا وفيا".(٣٩)

من هنا يتضح أن الصداقة التي ينشدها كلكامش يجب ان تبنى على أساس الإخلاص والوفاء والنصح والإرشاد ولهذا فقد أصبحت المصطلحات، صديقي وخلي وصاحبي اوصاف ملازمة لانكيدو وبواسطتها تمكن الكاتب من الانتقال الى الفصل التالي من الملحمة وهي التضحية والايثار في سبيل هذه المبادئ وعندما قررا الذهاب الى غابة الأرز وقتل همبابا تردد انكيدو فقال له كلكامش:

" لقد صرت تخشي الموت ونحن ما زلنا هنا،
فماذا دهى قوة بطولتك،
دعني اذن أتقدم قبلك ولينادني صوتك: تقدم ولا تخف،
واذا ما هلكت فسأخلد لي اسما وسيقولون عني:
أبناء الأجيال الاتية فيما بعد،
لقد هلك كلكامش في نزاله مع همبابا المارد". (٤٠)

وفي مكان اخر يؤكد الاديب على الشهادة والشهيد ومعانيهما ونظرة المجتمع تجاهها. يخاطب انكيدو صديقه وهو على فراش الموت:

" يا صاحبي لقد حلت بي اللعنة،
فلن أموت ميتة رجل سقط في ميدان الوغى،
كنت اخشى القتال (ولكنني ساموت ذليلا حتف انفي)،
فمن يسقط في القتال يا صديقي فانه مبارك". (٤١)

وهذا يذكرنا بمقولة خالد بن الوليد المشهورة وهو على فراش الموت حيث لم يبقى جزء من جسده الا وفي ذكرى لمعركة ولكنه الان يموت كالجمل. هذا من ناحية، وتأكيدا على مكانة الشهيد في العالم الاخر، حاول الكاتب إعطائه المرتبة الاولى ومكانة مهمة ويقول كلكامش: **هل رأيت الذي قتل في المعركة،**
إنكيدو: اجل رأيت أباه وأمه يرفعا رأسه، وتنوح عليه زوجته، (٤٢)

اما بخصوص الصداقة والأمانة فنجدها متمثلة في وصايا والدة كلكامش لانكيدو قبل ذهابهم الى الغابة:

" يا انكيدو القوي الذي ليس من رحمي،
قد اتخذتك منذ الان ولدا، (٤٣)
ثم قلدت عنقه بقلادة جواهر لتكون موثقا منه،
وقالت له: انني ائتمنك على ولدي فأرجعه سالما"(٤٤).

والممارسة في توثيق الأمانة تحتاج الى وضع علامة او إشارة خاصة بها فمثلا حلقة الزواج، عقد جزء من ملابس المؤتمن مثل غطاء الرأس. تختلف هذه الممارسات من مجتمع لأخر الا ان الفكرة الرئيسية سومرية الأصل ومنبعها بلاد الرافدين ومنه انتقلت الى الاقوام والبلاد المجاورة، كما انها لا تزال قيد الممارسة في المجتمعات البدوية والريفية متمثلة بعدم لبس ابن واخوة عقال الرأس وحلق الذقن الى ان يأخذوا بثأر المغدور.

لقد ربط الكاتب الحزن على الصديق بالحداد والبكاء وهذا ما نجده في مجتمعنا وعلى نطاق واسع . فبعد مرض انكيدو :" **اخذت الدموع تنهمر من عيني كاكامش فقال:،**

يا اخي العزيز علام يبرؤوني من دونك،
لتذبل المسالك التي سرت فيها في غابة الأرز،
وعسى ان لا يبطل النواح عليك مساء ونهار،
وليندبك شيوخ اوروك ذات الاسوار،
فيرجع صدى البكاء في الأرياف،
وليندبك الدب والضبع والنمر والايل والسبع،
والعجول والضباء وكل حيوان البرية ...
ثم دعا الصناع والنحاسين والنحاتين وقال لهم اصنعوا تمثالا لصديقي وصنع التمثال لصديقه"(٤٥)،

ويستمر الاديب بوصف الحالة النفسية لكلكامش ولأي شخص يفقد صديقا عزيزا فيقول بلسان كلكامش :

" اسمعوني أيها الشيبة واصغوا الى،
من اجل انكيدو خلي وصاحبي أبكي، وانوح نواح الثكلى ...
ولكن انكيدو لم يرفع عينه (ينظر) فجس قلبه فلم ينبض،
وعند ذلك برقع صديقه كالعروس،

واخذ يزأر كالأسد،

وكاللبؤة التي اختطف منها اشبالها،

وصار يروح ويجيء امام الفراش وهو ينظر اليه،

وينتف شعره ويرميه علي الأرض ومزق ثيابه الجميلة ورماها". (٤٦)

أليست هذه اوصاف مناحة النساء عندما يثكلن ازاوجهن او احد ابنائهن. كما آثر كلكامش الموت بدلا من صديقه. أراد الاديب التأكيد على الاحتفاظ بذكرى الفقيد ولتبقى للأجيال القادمة وتذكرهم بأعماله ومنجزاته، ولذا امر كلكامش بعمل تمثال لانكيدو وهذا أيضا يذكرنا مرة ثانية بالحس التاريخي :

" **ونادى صناع المدينة وصاح بهم،**

أيها الصفار والصائغ والجوهري،

ونحات الأحجار الكريمة، إصنعوا تمثالا لخلي ".(٤٧)

كانت وفاة انكيدو نقطة البداية لفصل اخر من الملحمة وهو البحث عن أسباب الموت وهل يمكن التخلص منه؟ وما هو سر الخلود؟، وهكذا فتح الاديب فصلا جديد للبحث عن الخلود وكيفية نجاة اوتو –نبشتم من الطوفان .

الطوفان :

اهم حدث في حياة الانسان في بلاد الرافدين لما له من تِاثيرات ونتائج سلبية على المجتمعات انذاك. أفاد منه الاديب السومري ليكمل الملحمة ويفتح فصلا جديدا من حياة كلكامش الا وهو البحث عن الخلود وكيف تمكن اوتو –نبشتم من البقاء حيا بعد هذا الحدث الذي دمر البشرية آنذاك، اللهم الا من ركب في السفينة ونجى من الموت.

أيها الرجل الشروباكي، يا ابن اوبار – توتو

قوض البيت وابني لك فلكا/ سفينة

تخل عن مالك وانشد النجاة

انبذ الملك وخلص حياتك

واحمل في السفينة بذرة كل ذي حي (٤٨)

قارن ما جاء في التوراة،وهذه بعض العباراة للمقارنة " **اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر.... ادخل انت وجميع اهل بيتك الى الفلك .... من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك** " (سفر التكوين، الاصحاح : ٦: ١٤ + الاصحاح: ١)

ففي تلك الحادثة ومآثرها وقيمها الدينية المهمة المتمثلة في حث للبشر آنذاك لعبادة الآلهة وطاعتها وتنفيذ اوامرها والا سينالون العقاب الجماعي استغلها الاديب وسخرها لكي يعكس قوة وسلطة الآلهة على البشرية لانها خلقتها لكي تؤدي واجباتها الدينية والدنيوية تجاهها. جاء الطوفان في الكتب السماوية كالتوراة والقران الكريم لتوكيد الفكرة ذاتها. كما ان الاوصاف الخاصة بعلاقة اتو– نبشتم بالآلهة تتجسد بعلاقة سيدنا نوح بالله عز وجل وطاعته وتنفيذ أوامره، فجاءت الاوصاف الخاصة بالسفينة في ملحمة كلكامش والتوراة والقرآن الكريم متشابهة لان الهدف واحد. الا وهو انقاذ الانسان الصالح الذي سيقوم بإعادة احياء البشرية لتعيش بأمان وسلام وعبادة وطاعة للخالق.

ومن الامور المهمة التي ركز عليها الكاتب هو الفرق بين الآلهة والبشر وفي اكثر من مكان في الملحمة كما

أراد تأكيد الفرق بين الآلهة والبشر في التحمل والصبر وذلك من خلال امتحان أوتو – نبشتم والذي نجى من الطوفان لكلكامش والطلب منه بعدم النوم لسبعة أيام . كان الهدف من هذا الامتحان ليثبت بان صبر الانسان وقابليته للتحمل محدودة والآلهة فقط هي التي تستطيع فعل ذلك ولا تنام لمراقبة الكون والبشر،

" **لكي تنال الحياة التي تبغي (أي الخلود)،**

تعال امتحنك، لا تنم ستة أيام وسبع امسيات". (٤٩)

لكن كلكامش لم يتمكن مقاومة النوم، وطلب اتو – نبشتم من زوجته بان تثبت تأشير عدد الايام التي نامها كلكامش على الحائط وتقدم له رغيف خبز يوميا. هذه العمل هو لتقديم الدليل والاثبات وهي ممارسة قانونية هدفها تقديم الادلة ضد المتهم بوساطة القرائن المكتوبة والمادية ومن خلال التأشير على الحائط والتي كانت ولا تزال احدى أساليب العد والحساب في القرى والرياف لمن لا يجيد القراءة والكتابة كما يمكن وصفها إشارة من قبل الكاتب لبداية ظهور العد والحساب وخاصة التي كان يمارسها كهنة المعابد لمعرفة الوارد والصادر من أملاك المعبد . ومن المفارقات ان هذه الطريقة في العد والحساب لا تزال تستعمل في بعض الألعاب الشعبية للتسلية في المقاهي مثل" الدومينو" حتى لمن يجيد القراءة والكتابة والحساب، والاغرب من ذلك يستعملها حتى السياسيون في عد أصوات المنتخبين المتنافسين. من خلال هذا الامتحان أراد الاديب ان يقول وعلى لسان اتو – نبشتم مخاطبا زوجته :"

ولما كان الخداع من طبيعة البشرية فانه سيخدعك. (٥٠)

وفعلا، عندما ايقظته في اليوم السابع(٥١)) قال كلكامش :

" لم **تكد تأخذني سنة من النوم حتى لمستني فأيقظتني،**
فأجاب اوتو –نبشتم كلكامش
عد أرغفتك يا كلكامش؟،
ولينبئك المؤشر على الحائط عدد الايام التي نمت" .[٥٢]

بعد فشل كلكامش في الامتحان رق قلب اتو – نبشتم عليه واطلعه على سر من اسرار الآلهة الا وهو نبات الحياة العجيب والذي يأكله يستعيد نشاطه وشبابه واسمه:" يعود الشيخ الى صباه كالشباب" . هذا ما يبحث عنه العلماء عبر العصور القديمة والحديثة والى يومنا هذا فكل المساحيق ومواد الزينة والتجميل وصبغ الشعر ما هي الا محاولة للتصابي والتخلص من مظاهر الكبر والشيخوخة.

بعد ان حصل كلكامش على نبات الحياة، استدرك الاديب موضوع مهم للإنسان العراقي القديم والحديث وهو الايثار بالنفس والمادة، فقد آثر كلكلمش ان يأكل النبات لوحده وانما أراد اشراك سكان مدينته اوروك . ولكن في كثير من الأحيان تسير الريح بما لا تشتهي السفن وتذكر الاديب ما قاله بان الآلهة عندما خلقت الانسان كتبت عليه الموت في أماكن متعددة من ملحمته وهنا يجعل نوم كلكامش من تعب السفر تسهيلا للحية لاكل النبات . والسؤال لماذا اختار الكاتب هذا الحيوان بالذات، والجواب، هو ان هذا الحيوان يتخلص من جلده الجاف سنويا وذلك بسبب نمو جسمه وكبر حجمه الا ان الاعتقاد السائد قديما ولدى العوام من الناس بان الحية تجدد حياتها سنويا، ولهذا دعيت بهذا الاسم المشتق من الفعل "حيا"، فالكاتب كان عارف بالحيوانات وانواعها واهميتها وتأثيرها في المعتقدات .

اما اهم الامثال الواردة الكاتب في الملحمة والتي لا تزال مستعملة الي الوقت الحاضر:

ما انت الا الموقد الذي تخمد ناره في البرد،
انت كالباب الخلفي لا يصد ريح ولا عاصفة [٥٣]
انت قير يلوث حامله
انت قربة تبلل حامها
انت نعل يقرص منتعله [٥٤]
هل بنينا بيتا يدوم الى الابد " [٥٥]
هل تبقى البغضاء في الأرض الى الابد
ويا ما اعظم الشبه بين النائم والميت

من ذا الذي يستطيع ان يميز العبد من السيد اذا وافاهما الاجل
حمل المخطيء وزر خطيئته (٥٦)
وحمل المعتدي إثم اعتدائه
ولكن ارحم في العقاب لئلا يهلك،
وتشدد لئلا يمعن في الشر (٥٧)

الخلاصة

على الرغم من التكرار والذي تعمد استخدامه الاديب الا ان ما ورد فيها ينم عن خيال واسع في معالجة المشاكل السياسية الاجتماعية والدينية بأسلوب اسطوري ملحمي مع التركيز على الثوابت والتي لا يمكن تجاوزها كمركز الآلهة واستئثارهم بالحياة الأبدية وتحكمهم بمصائر البشرية. واختتم الملحمة بقوله على لسان صاحبة الحانة :

" **اما انت يا كلكامش فليكن كرشك مليئا على الدوام ؛**
اقم الافراح في كل يوم ؛
وارقص والعب مساء نهار ؛
واجعل ثيابك نظيفة زاهية ؛
واغسل رأسك واستحم في الماء ؛
ودلل الصغير الذي يمسك بيدك ؛
وافرح الزوجة التي بين احضانك؛
وهذا هو نصيب البشرية " (٥٨)

وآمل ان يكمل الباحثين الجوانب الأخرى والتي غابت عن ذهني ويتمكن من ربط الماضي بالحاضر ليبين للقارئ العربي مدي التواصل الحضاري في بلاد الرافدين بالرغم من الفارق الزمني.

الهوامش

١- باقر، طه، ملحمة كلكامش ط ٥ (بغداد، ١٩٨٦).ص٧٣ : ١-٨ ؛ ٢٢-٢٥؛ ٣٣-٣٤ .

2-L.Novotny and J. Jeffers, The Royal Inscriptions of Ashurbanipal (668-631 B.C), Assur-etel-llāni (630-627 B.C.), and Sîn-sarru-iskun (626-612 B.C), Kings of Assyria, Part I (Pennsylvania, 2018) (RINAP, 5/1) p. 100: 81-93

٣- باقر، ص ١٦٨ ٣-٦

4-H.Hunger, Babylonische und Assyrische Kolophone(AOAT 2) 389:1, Cf.386

٥- الجبوري، علي ياسين " الواح الكتابة المسمارية الخشبية العاجية GIŠlē'u في العصر الاشوري الحديث"، آثار الرافدين، مجلد٤ (٢٠١٨) ص٩-٥٤

6-Hunger , Op.Cit. 97-98, no.329,ii, 4,,7-8

٧ - باقر، ص ١١٩ : ١٤-١٥

8-S.Parpola and K. Watanabe , State rchives of Assyria ,Vol. II, pp.12-13, iv:29-33 + v: 1-27 + vi:1-5

٩- (ص ١٠٤، العمود ٤ : سطر ٣٣-٣٤ و ص ٩٧العمود ٣ : سطر: ٣٦

١٠- باقر، ص٩٨، ٥٤-٥٩

١١-باقر، ص١٢٣ : سطر ١٣-١٧

12-H.Frankfort, kingship and gods(Chicago, 1965)., ,A.Y Aljuboori , "The Relationship Between the Assyrin Kings and Their Gogs", Al-Rafidan Archaeological, vol.1 (2012) pp.3-19

الجبوري، علي ياسين " نظام الحكم " موسوعة الموصل الحضارية ج١ (الموصل، ١٩٩١)ص ٢٣٠-٢٣١

١٣-باقر، ص ١٤٧ : ١٣.)، : الناس سواسية كاسنان المشط.

١٤- نصابا إلاهة الحبوب والغلال و سيدة الكتابة والحساب

See, J.Black and A.Green ,Gods Demons and Symbols (BM, 1992) p.143.،

١٥- باقر، ص٧٩ : ٦-١٤.

١٦- باقر، ص ١٢٥ :٧ -٨.

١٧- باقر، ص ٨٣ : ٢١ و ص ٨٤ : ٣-٥؛ ٢٣-٢٤ ؛ ص ٨٥ : ٥) .

الجبوري، علي ياسين " الامثال في الرسائل الاشورية "، أبجديات، عدد ١٣(مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٨) ص٣٠-٤٣

١٨- باقر، ص ٨٩ : ١-١٥.

١٩-باقر، ص ١٢١: ٣-١٢.

٢٠- باقر، ص ٨٩ : ١٧-٢٠ و ص ٨٠: ١١- ١٣ قارن ص٨١: ٢٢-٢٤.

٢١- باقر، ص ٨٣ : ١-٥ و ص٨٢: ٧-٩ و ص ٨٣ : ١ .

٢٢-باقر، ص ٨٣ : س٢٢-٢٨.

٢٣- باقر، ص ١٢٠ : ١٤- ١٨.

٢٤- باقر ص ١٢١ : ٢١ و ص ١٢٢: ١-٨.

٢٥- باقر، ص ٩٧:٩-١١

٢٦- باقر، ص ١٣٥ : ١٢-١٨.

٢٧-باقر، ص ١٩٣: ١-١٦، ص ١٩٤ : ١-٢ .

٢٨- باقر، ص١١٧ : ٥ + ٢-٥ .

٢٩- باقر ص ١١٨ : ١-٧.

٣٠- "درب الصد لا رد "، الحنفي، جلال الدين، الامثال البغدادية (بغداد، ١٩٦٢)، رقم ٧٨٤

٣١- باقر، ص ١٢٢ : ١٠- ١٩+ ص ١٢٢ : ١- ١٧ + ص ١٢٣ : ١-١١.

٣٢- سورة الشعرء، الاية ٨٨-٨٩

٣٣- باقر ص ١٧٣ : ١-١٢ + ص١٧٤ : ١-٦ .

(٣٤) والقول المأثورالشهداء اكرم منا جميعا.

٣٥- "اكرام الميت دفنه"، قول مأثور

٣٦- باقر، ص ١٧٥ : ١-١١ + ص١٧٦ : ١-١٢. الجميلي، عامر عبد الله " مكانة الكاتب في بلاد الرافدين(دمشق، ٢٠٠٥)

٣٧- باقر، ص ٧٧ : -٦ + ص ٧٨ : ٢-١٢.

٣٨- باقر ص ٨٦ : ١٥-٢١ + ص٨٧ : ١.

٣٩- باقر، ص٨٧ : ١٥ +٢١-٢٤.

٤٠- باقر، ص ٩٧ : ١٣-١٩.

٤١- باقر، ص ١٢٥: ٤-٧ .

٤٢- باقر، ص ١٧٥ : ١٢-١٤.

٤٣- "رب اخا لم تلده امك"، قول مأثور..

٤٤- باقر ص ١٠٤ : ٥-٧ .

٤٥- باقر، ص ١١٨ : ٩- + ص ١٢٥ : ١٢-١٨.

٤٦- باقر، ص ١٢٦ : ١٣-١٤+ ص ١٢٧ : ٥-١١.

٤٧- باقر، ص ١٢٧ : ١٥-١٧.

٤٨- باقر، ص ١٥١ : ١٢-١٦

٤٩- باقر،ص ١٦٢ : ٧-٨.

٥٠-باقر، ص ١٦٢ : ١٩ .

٥١- الأسود، حكمت بشير، الرقم ٧ في الحضارة العراقية القديمة – الدلالات والرموز (دمشق، ٢٠٠٥)

٥٢- باقر، ص ١٦٣: ٨-١١ . سورة البقرة : آية الكرسي رقم ٢٥٥

٥٣- لا في العير ولا النفير " أي عديم الفائدة عند الحاجة.

٥٤-أمثلة متداولة للدلالة على عدم الفائدة والاذية . ينظر الحنفي، جلال الدين، الامثال البغدادية (بغداد، ١٩٦٢)

٥٥- كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام، سورة الرحمن، آية : ٢٦-٢٧)

٥٦- ولا تزر وازرة وزر أخرى، سورة الاسراء، آية ١٥

٥٧- باقر، ص ١٠٩: ١٨-٢٤ + ص ١١٠ : ٣. والمثل يقول : اذا اطعمت فااشبع واذا ضربت فاوجع.

٥٨- باقر ص ١٣٥ : ١٧-١٨ +ر ص١٣٨ : ١-٧

Refernces:

R.Borger, “Einige Texte Religiosen Inhalts IV. Ein neues Gilgames Fragment”, Orientalia, 54(1985) pp25-26.

A.George, The Epic of Gilgamesh(BM, 1999).

----------, The Babylonian Epic of Gilgamesh (Oxford, 2000)

A.Goetze and S.Levy, " Fragment of the Gilgamesh Epic from Magiddo", Antiqot 2(1959)pp121-128.
O.R. Gurny, "Two Fragments of the Epic of Gilgamesh from Sultantepe". JCS, 8(1954)pp.87-95.
H.Hiedel, The Gilgamesh Epic and the old Testament Parallels(Chicago, 1949).
----------, "A ne0-Babylonian Gilgammesh Fragments" JNES, 11(1952)pp. 140-143.
S.N. Kramer, From the Tablet of Sumer(1956)
W.G.Lambert, Gilgamesh in Religious Historical and Omen Texts and the History of Gilgamesh (1958) pp52-55.
A.r. Millard, Gilgamesh X : a New Fragment", Iraq, 26(1964)pp.99-105.
S.Parpola, The Epic of Gilgamesh(Helsinki, 1997) (SAAT 1).
C.Thompson, the Epic of Gilgamesh (Oxford , 1930)
D.J. Wiseman, Additional Neo-Babylonian Gilgamesh thought", in Garelli, Gilgamesh et sa legende(1958)pp.123-135.
---------, " A Gilgamesh Epic Fragment from Nimrud", Iraq 37(1975)pp.222-229.

باقر، طه، ملحمة كلكامش (بغداد، ١٩٧٥)
---------، مقدمة في ادب العراق القديم (بغداد، ١٩٧٦) ص١٠٠-١٢٩ .
علي، فاضل، سومر إسطورة وملحمة (بغداد- ٢٠٠٠)
---------- من ألواح سومر الي التوراة (بغداد، ١٩٨٩)